لماذا القرى اليافعية القديمة متقاربة ومتضامة؟

كتب/ د.علي صالح الخلاقي:

هذا السؤال يراود الكثير من زوار يافع، ويتبادر إلى أذهانهم عند تجوالهم في القرى القديمة التي تتقارب بيوتها بشكل ملفت بحيث تبدو وكأنها كتل معمارية متراصة ومتلاصقة بجانب بعضها البعض، على عكس العمارة الحديثة التي تتباعد عن بعضها وتحاط بأسوار خاصة.

وللإجابة عن هذا السؤال أقول: إن أسباب ذلك فرضتها مقتضيات الأمن والأمان بدرجة رئيسية والتعاون ونجدة بعضهم البعض وقت الخطر أو عند الحاجة أو تبادل المنافع بشكل سريع، ولهذا السبب تتميز القرى والحصون اليافعية القديمة بنظامها الدفاعي شديد الدقة؛ لأن طبيعة الحياة وقساوتها في الماضي، وأخطار الغزوات الخارجية والحروب والفتن وأخطار الوحوش المفترسة التي كانت متواجدة في الشعاب والخلوات وكذا السيول الجارفة، جعلتهم حذرين دائماً وحريصين على بناء بيوتهم الحصينة متقاربة وفي أماكن مرتفعة، ومن كان بيته في الأعلى كان يشعر بأمان أفضل، وكانت معظم القرى تُشيَّد على نُشوز عالية أو على قمة أو أكمة (لَكَمة) أو قلة جبل مرتفعة معزولة يصعب الوصول إليها وهذه الحماية الطبيعية تُعزَّز ببناء أسوار وحصون لحمايتها من أية مخاطر خارجية مباغتة.

ويمكن القول أن القرى القديمة كانت أشبه بحصون وقلاع عسكرية منيعة فيها جميع الاستحكامات الدفاعية، بما في ذلك وجود فتحات أو مَزَاغِل خاصة لرمي الرماح أو توجيه البنادق منها، تُعرف بـ"العُكر"، بما في ذلك مزاغل أفقية لصب السوائل المحرقة او الزيوت الحارقة على من يحاولون تحطيم باب البيت أو محاولة اقتحامه.

وكانت الأسوار أو كما تُسمى محليا "الدَّرب-وجمعها دُرُوب" من أهم التحصينات الدفاعية تحوطاً من التعرض لهجوم مباغت، ولهذا كانت الحصون أو القرى تُحاط بسور طبيعي يُستكمل في بعض جوانبه بالبناء، وكانت لبعضها بوابات تتحكم بالدخول إليها أو الخروج منها، بل أن لبعضها بناء مسقوف يسمى (سّقيفة) تمتد تحت بيت أو أكثر ولها بوابتان، داخلية وخارجية، يعلو كل منها عقد حجري يسمح بدخول الأحمال على ظهور الحيوانات كالإبل والحمير. وكانت تتواجد فيها صهاريج المياه ومدافن الحبوب وكل مستلزمات الحياة. ونادراً ما ينفرد البعض في الماضي في البناء بعيداً عن القرى خوفاً من عواقب الحروب الثأرية التي شملت القبيلة والأخرى والقرية وجارتها.

كانت المناعة الدفاعية هي الاهتمام الأساسي، لهذا السبب كان يتم بناء بعض المدن والقرى في مواقع لم يكن الوصول إليها ممكنا إلا عبر طرق شديدة الانحدار (بعضها ما زال قائما حتى اليوم) وتم تبليطها بالحجارة المرصوصة في الجبود أو الجبال على ارتفاع عدة مئات من الأمتار. وتوجد براعة جديرة بالاعتبار في تخطيط مواقع البناء ومهارة في تكييف مختلف المواقع بصورة خاصة. وذلك ما زال ملاحظاً في البناء الحديث إلى حد كبير نتيجة الرغبة لزيادة الخصوصية والخلوة واحترام تقليدي لعُرف اجتماعي يمنع التعدي على المنازل المجاورة، فضلا عن ذلك فإن البيت الذي يشرف على مناظر فريدة فوق المرتفعات الجبلية والمنحدرات الخطرة يحظى دائما بمقام ومنزلة رفيعتين..

وإجمالا كان الناس في الماضي يفضلون الأماكن المرتفعة، على سفوح وقمم المرتفعات الجبلية لدواعي ومتطلبات الأمان، وهو ما تؤكده القرى والحصون القديمة المشيدة في شناخيب الجبال وشماريخها العالية التي أهمل الكثير منها خلال العقود الأخيرة وانتقال الناس إلى الأماكن المنخفضة وعلى ضفاف الأودية لتوفر شروط الأمان والقرب من طرق المواصلات.

أقصوصة

الحسد القاتل

أثمار المحرقي:

كان هناك رجل ميسور الحال، متزوج ولديه من الأبناء ولد وبنت، وكان يعيش عيشة هنية تغمرهم السعادة والطمأنينة، إلا أن السعادة تأبى إلا أن تكون ضيفا خفيفا سريعة الرحيل.

ففي أحد الأيام أصيبت الأم (الزوجة) بمرض خطير صرح الأطباء بأنها في أي وقت ستفارق الحياة.. وصول مثل هذا الخبر لأفراد العائلة حتما سيجعلهم في بؤس شديد.

وبالفعل أصبحت حياة العائلة في هم وبؤس شديدين، وما هي إلا أيام قليلة من بعد وصول الخبر حتى توفيت الأم.

مرت الأيام والسنين فما كان من الأب الا أن يتزوج بامرأة ترعى أبناءه وكانت نعمة الزوجة.. وبعدها أنجبت له ثلاثة أطفال كانت تغمرهم بالسعادة والحنان والعطف.

حبها الزائد لأبنائها أثار الحسد في نفس الابن الأول من الزوجة الأولى وأشعل نار الغيرة عندما كان يرى إخوته من أبيه وأمهم تحتضنهم بالرغم أنها لم تفرق يوما بينهم وبين أبنائها.

كان الابن يفتقد هذا الحنان والعطف على الرغم من أنه عاش عيشة يحلم بها الكثير من أقرانه.

ظل هذا الأمر شغله الشاغل، في نومه وقيامه، وتطور الحسد إلى الغل، وهنا تدخل الشيطان، فقرر إنهاء الأمر بمكيدة شيطانية.

ذات يوم انتهز الابن فرصة خروج أبيه وأخته من أمه من البيت، ولم يتبق في البيت إلا زوجة أبيه وأبناؤها الذين كانوا في نوم عميق، لقد ظل يترقب مثل هذه الفرصة وظل يخطط لها كثيرا..

فليس من العدل أن يجلس الغرباء (زوجة أبيه وأبناؤها) ويستحوذون على كل شيء، هكذا كان يراهم هذا الابن على الرغم من أن زوجة أبيه كانت تعامله وأخته بالحسنى لكنه رآها غير ذلك بعد أن أنجبت من أبيه.

كانت كرة الحسد تزداد كلما رآهم، فهو قد فقد أمه وحنانها، وأبوه لم يكن يستمع أو يجلس إليه فأبوه إما في عمله أو بعد أن يرجع البيت يجلس مع زوجته وأبنائه وبعدها يخلد إلى السرير لينام ليبدأ يوما جديدا يتكرر كاليوم الذي سبقه.

أحرقته الغيرة والحسد فأراد أن يذيق زوجة أبيه وإخوته نفس المصير.

تسلل إلى المنزل خلسة يحمل في يده جالون (جركل) بنزين.

قام برش البنزين داخل المنزل بسرعة وأشعل النار وأغلق الأبواب وغادر دون أن يشعر به أحد ولم يكترث للأطفال وأمهم وصراخهم وهم بين اللهب يحترقون أحياءً فأحال البيت بمن فيه إلى رماد.

عندما بلغ الأب الخبر أصيب بالصدمة أفقدته الحركة.

ولم يعرف أحد سبب الحريق، اعتقد الابن أنه أخفى الحقيقة عن الناس لكنه نسي أنها لن تخفى على رب الناس.

مرت الأيام والسنوات واندفنت جريمته مع موتاه.. بعدها تزوج الابن ورزق بطفلين من الأولاد كانت حياته سعيدة مستقرة ولكنها فجأة انقلبت رأسا على عقب فذات يوم بينما هو في العمل حدث التماس كهربائي في بيته وأشعلت النيران كل زاوية فيه لم يستطع أحد الدخول أو الخروج وكان أولاده وزوجته في الداخل ولم يستطع أحد مساعدتهم ليقضوا جميعهم حرقا.

وكما تدين تدان، والديان لا يموت.

(حياتي في قلب الحدث).. إصدار جديد للصحفي باسم الشعبي

عدن/ الأمناء/ خاص:

صدر في العاصمة عدن كتاب جديد للصحفي والكاتب والمحلل السياسي باسم فضل الشعبي، وجاء الكتاب في ١٢٦ صفحة موزعة على ثلاثة فصول، تناول الفصل الأول (الصحافة والثورة) تجربة المؤلف في الصحافة والثورة "ثورة الحراك السلمي والثورة الشبابية" كيف تشكلت الثورتان وإلى ماذا آلتا، مستعرضا عددًا من المحطات السياسية التي مرت بها البلد خلال العقود الأخيرة بالنقد والتحليل، وفي الفصل الثاني (سنوات الحرب الصعبة) يتناول المؤلف المرحلة ما بين حرب ٢٠١٥ على الجنوب إلى ٢٠٢٣، ويقدم فيها الكثير من الوقائع والأحداث من موقعه كمشارك في الحدث، مستعرضا علاقاته بالكثير من الشخصيات التي كان لها دور في الأحداث ومنها اللواء عيدروس الزبيدي - رئيس المجلس الانتقالي الجنوبي، نائب رئيس مجلس القيادة الرئاسي - واللواء محمود الصبيحي، وقائد مقاومة عدن نايف البكري، واللواء جعفر محمد سعد وآخرون، كما يقدم في هذا الفصل شرحًا عن السنوات الصعبة التي أعقبت تحرير عدن ومناطق الجنوب المختلفة، والمدى الذي بلغت إليه القضية الجنوبية، ودور المجلس الانتقالي في الأحداث، وفي الفصل الثالث (مقالات مختارة) يتناول المؤلف عبر مقالات سياسية وفكرية معالجة الكثير من القضايا، منها قضية الحرية والاستبداد، وقضية الدولة، والتحرير والتغيير، والفساد، وغيرها من القضايا المهمة.

أهدوك إرثي

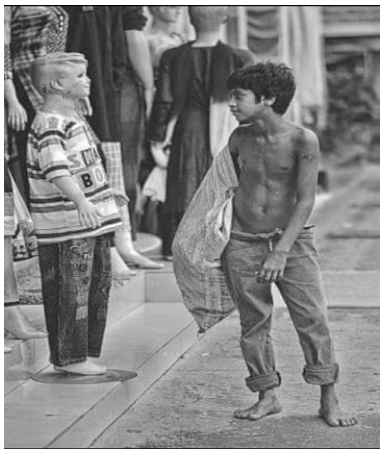

أهدوك إرثي وألبسوك ثيابي
وسقوك في كأس النعيم شرابي
وهبوك مالي كاملا وفتوتي
ومواهبي وحقائبي ونصابي
أوّاه ما أقسى الحياة بموطن
يُكسى الجماد طفولتي وشبابي
ويذيقني غصص الحياة ومرّها
ويكف من قبل البزوغ شهابي
فصلت من وَهَج الشموس عباءتي
وجعلت من بعض الأديم جرابي
وحملت سلات الحبوب حقيبة
وجمعت من سُفَر الطعام كتابي
وسُدت رأسي صخرة فوجدتها
أدرى الجماد من العباد بما بي
قد زينوا الأصنام رغم جمادها
لأرى بإكرام الجماد عذابي